مقدمة

فى الطريق إلى رأس سدر، بعد عبور نفق الشهيد أحمد حمدى بحوالى عشرين كيلومترًا، يجد المسافر إحدى النقط الحصينة التى بنتها إسرائيل على الجانب الشرقى للقناة قبل حرب ١٩٧٣م.

وإذا كان لدى المسافر بعض الوقت أو حب المعرفة أو حتى الفضول، ودخل تلك النقطة، لوجد فيها نسخًا من العهد القديم، ووجد الآية التى تقول: «لنسلك أعطيت هذه الأرض من الفرات إلى النيل» فى كل غرفة تقريبًا، فتلك عقيدة الجيش والدولة الإسرائيلية.

ولو استمع لشرح الجندى المصرى فى تلك النقطة، لوجده يقول: بنى دشم هذه النقطة الأسرى المصريون (من حرب ١٩٦٧م)، حيث قاموا بفك خط السكة الحديدية الواصل إلى غزة، ودعموا بالقضبان الحديدية أسقف الدشم، وكذا جعلوا للمدفع الرئيسى الذى كان يقصف مدينة السويس بكل ما فيها، من منازل ومدارس ومستشفيات ومستودعات بترول ومنشآت حكومية، جعلوا له سكة حديدية، يخرج عليها المدفع ليقصف المدينة، ثم يعود مختبئًا داخل الدشمة. وبعد أن انتهى الأسرى المصريون من بناء النقطة الحصينة، اقتيدوا إلى مكان قريب، حفروا به خندقًا كبيرًا، كان مقبرتهم الجماعية بعد إتمامهم العمل. كان ذلك فى سبعينيات القرن الماضى، أى منذ حوالى ثلاثين سنة.

كان هناك الكثير من النقط الحصينة على الجانب الشرقى للقناة، وكانت كلها تقصف مدن القناة، حتى هاجر أكثر من مليون من ساكنيها. ذلك هو الإرهاب، طبقًا للتعريف الأمريكى للإرهاب، وهو أيضًا العدوان المسلح.

وذلك أيضًا مجرد حلقة من حلقات الإرهاب الصهيونى (قبل قيام دولة إسرائيل)،

والإسرائيلى الذى بدأ من أربعينيات القرن الماضى، إلى مذبحة جنين بفلسطين فى نهاية القرن، وإلى قتل الجنود المصريين[1] داخل حدود مصر فى نهاية عام ٢٠٠٤م، وقبل ذلك بقليل، قصف وتدمير منازل رفح.

سجل الإرهاب الإسرائيلى ثقيل وطويل

فقد كانت السبَّاقة فى اغتيال الأعداء بكل جنسياتهم، مدنيين وديبلوماسيين، وكانت السبَّاقة فى اختطاف طائرات الركاب المدنية (طائرة الركاب السورية فى الخمسينيات) وإسقاطها طائرة الركاب الليبية (التى أسقطت بعد أن دخلت فى عاصفة ترابية أضلتها عن مطار القاهرة لمسافة دقيقتين) واختطاف المراكب والسفن، واختطاف الأسرى. كذلك كانت السباقة فى إرسال الخطابات المتفجرة. ولرجل السلام شارون سجله الناصع فى عمليات الإرهاب الإسرائيلى، منذ الخمسينيات وحتى اليوم، ولم يقصر الرجل فى إثبات جدارته عند كل الجنسيات العربية: فلسطينيين، مصريين، لبنانيين، أردنيين، سوريين، فهو بحق رجل السلام!

• أليس شارون وإسرائيل فى رفض دائم لعشرات القرارات من الأمم المتحدة عن انسحاب إسرائيل من الأراضى التى تحتلها فى ثلاث دول عربية (فلسطين ـ سوريا ـ لبنان)؟

وأيضا رفض قرارات الأمم المتحدة القاضية بحق عودة اللاجئين الفلسطينيين إلى أراضيهم، هذا الحق الذى هو حق أساسى فى وثيقة حقوق الإنسان، يبيح لكل فرد حق مغادرة دولته وحق العودة إليها.

• أليس لإسرائيل ترسانة نووية حقيقية وليست مزورة كتلك التى بسببها تكبد الشعب العراقى ما تكبده من خراب ودمار.

• ألم تظهر استطلاعات رأى المواطنين فى أوروبا ـ وليس الشرق الأوسط ـ أن أخطر دولتين على السلام العالمى هما الولايات المتحدة وإسرائيل؟

لكل ذلك وبعد كل ذلك، يقول الرئيس بوش، ويقول البعض وراءه إن شارون رجل السلام!!..

---

(١) لم يزد عقاب قتلة الجنود المصريين عن توبيخهم.

ويرد رجل السلام على ذلك قائلاً بأن إسرائيل لن تتخلى عن معظم المستوطنات فى الضفة الغربية، ولن تسمح بعودة اللاجئين، وأن القدس عاصمة أبدية موحدة لإسرائيل، ضاربًا بذلك عرض الحائط بقرارات الأمم المتحدة، ومبادئ حقوق الإنسان ومعها السلام.

ولم يقتصر الإرهاب الصهيونى على غير اليهود، فقد قتلوا الكثير من اليهود الذين وقفوا فى طريق الصهيونية، أو لم يكونوا صهيونيين بما يكفى، طبقًا للحق فى قتل المتعاون مع العدو، أو الواشى، حتى إنهم قتلوا الصهيونى إسحاق رابين صاحب سياسة تكسير عظام الفلسطينيين[1].

الإرهاب الأمريكى من الهنود الحمر إلى العراق

أما الإرهاب الأمريكى، فقد بدأ مبكرًا مع الهجرة من أوروبا، حيث استفتح بطرد الهنود إلى الغرب، وقتالهم ثم إبادتهم، وحصر من بقى منهم فى الملاجئ وأشباهها، وثنّى بخطف الأفارقة واستعبادهم، وثلّث بإرهاب شعوب أمريكا اللاتينية، والفليبين، وڤيتنام، وانتهى بالشعب العراقى.

ماذا تفعل أمريكا فى العراق؟

لقد حاصرته عشر سنوات بعد أن قام حليفها صدام بغزو الكويت وانسحب منها، كلف الحصار شعب العراق بضع مئات الآلاف من القتلى وأضعاف ذلك العدد من المرضى، ثم غزت العراق تحت زعم أنه يملك أسلحة دمار شامل، وتأكد ـ ليس فقط ـ خطأ ذلك، بل تأكد أنها لفقت وزورت الأدلة لمجلس الأمن وللعالم وللشعب الأمريكى. ثم تغير سبب الغزو ـ هكذا بكل بساطة ـ إلى أن صدام حسين كان يدعم القاعدة، ثم تأكد ثانيًا، وبواسطة لجنة أمريكية، كذب وزيف ذلك.

---

(١) ليس هذا مجازًا، فقد كانت القوات الإسرائيلية تمسك بالفلسطينيين وتكسر عظامهم، وكانت تليفزيونات أوروبا تبث ذلك على مشاهديها، ولكن كان التليفزيون المصرى فى ذلك الوقت يستضيف رابين وبيريز ليلقيا على المشاهد المصرى عظات ودروس فى السلام، وشجب الإرهاب الفلسطينى.

تغير السبب لثانى مرة، وأصبح الغزو لإسقاط نظام صدام حسين، وهذا طبقًا للتعريف الأمريكى، الإرهاب بعينه، يُضاف إلى العدوان المسلح.

سقط نظام صدام، ووقع صدام فى الأسر...

إذًا ماذا يفعل الأمريكيون فى العراق؟ لماذا لا يعودون إلى بلادهم؟

ظهرت الحجة الرابعة: إقامة نظام ديمقراطى فى العراق!

بأى حق وبأى منطق وبأى نوع من الإنسانية يمكن تبرير هذا العدوان البربرى الإرهابى على الشعب العراقى؟

وهل يمكن لأمريكا أن تغزو أى بلد فى العالم، وتدمره بحجة إقامة نظام ديمقراطى؟ ورغمًا عن مقاومة الشعب الدموية ضد قوات الاحتلال؟

كلف «التحرير الأمريكى» للعراق قتل حوالى مائة ألف عراقى حتى الآن - طبقًا للتقارير الغربية[1] - وتقاطع السنة، وهى الأغلبية وليست الشيعة كما يزعمون - الانتخابات، كذلك تقاطعها بعض فئات الشيعة، والأكراد، فأى ديمقراطية هذه؟

هناك عدة قواعد... طبقًا لتشومسكى

- استخدام المقاييس المزدوجة... فما نفعله نحن وحلفاؤنا (يقصد أمريكا وإسرائيل وأمثالها) هو فى سبيل الديمقراطية وحقوق الإنسان والقيم والحضارة... وما يفعله أعداؤنا فهو لإعاقة كل ذلك..... إذن فهو إما عدوان وإما إرهاب...
- انتقاء ما يذيعه الإعلام وما يتجاهله...
- انتقاء ما يدخل السجل التاريخى والذاكرة... وما يستبعد منها.
- أما إذا كان بعض ما فعلناه سيئًا وضخمًا بحيث لا يمكن تجاهله... فيمكن

(١) وهنا يكمن أحد الفوارق بين إرهاب القرصان صدام حسين، وإرهاب الإمبراطور چورج دبليو بوش. وقد سبق لأمريكا تحرير الفليپين فى مطلع القرن العشرين، مما خلف أكثر من مائة ألف قتيل فليپينى، ثم انسحبت أمريكا!.

تبريره إما بأنه رد فعل، أو انتقام، أو ضربة إجهاضية لمنع العدو من إيقاع الضرر بنا، أو هو هفوة أو خروج عن مثالياتنا الأخلاقية، بسبب ما يفرضه علينا عدونا الإرهابى.

وبكلماتنا العربية:

لدينا القواعد التالية

بالنسبة لإخواننا اليهود وإخواننا الغربيين، (أمريكا وانجلترا ومن يتبعهما).. ننسى الماضى، ولو كان قريبًا، بل حتى لو كان حاضرًا... لأنهم: ﴿أولئك الذين يبدل الله سيئاتهم حسنات﴾ طبقًا للقرآن، وهناك أيضًا: «من صفعك على خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر» طبقًا للإنجيل، أو حتى «ضرب الحبيب مثل أكل الزبيب» طبقًا للمثل الشعبى المصرى.

أما بالنسبة لإخواننا المسلمين والعرب:

«رب الجيوش يتفقد آثام الآباء حتى الجيل الثالث والرابع من الأبناء» طبقًا للتوراة.

***

طبعت هذا الكتاب بالإنجليزية دار نشر Pluto عام ٢٠٠٢م. الفصول الثلاثة الأولى طبعت أول مرة عام ١٩٨٦م، والفصل الرابع والخامس عام ١٩٩١م، والفصل السادس والسابع عام ٢٠٠١م.

وقد استعرض فيه تشومسكى بفكره الثاقب وأسلوبه الساخر إرهاب القراصنة وإرهاب الأباطرة، فى عالم الحقيقة وعالم چورج أورول، والذى فيه يتم تجريم الضحية، وتمجيد المعتدى.. وتقوم الأطراف الأخرى ـ والتى تعتبر نفسها محايدة، أو حتى مدافعة عن الضحية ـ بلوم الضحية ما دامت غير قادرة على مساندتها، وتتظاهر المرة تلو المرة بالذهول والدهشة لما يحدث، وأنها تفاجئ به، وتفضل خداع النفس والنفاق، على أن تقول كلمة حق، فضلاً عن اتخاذ موقف.

عادل المعلم

يناير ٢٠٠٥م